

تحقيقات تاريخية

Identifications de certains lieux à Baghdâd

٥ - الفردوس قصر لا نهر

ورد في ص ١٣-١٤ من كتاب عمران بغداد : « ونهر الملى وكان يجري في اعظم محلة ببغداد اي محلة الخلفاء ودواوينهم ويستمد مائه (كذا) من نهر الخالص وقد سمي بالفردوس » قلنا : ان الفردوس قصر لا نهر ففي ص ١٩ من مناقب بغداد : « وكان في الجانب الشرقي نهر (موسى) يأخذ من نهر (بين) الى ان يصل الى قصر المعتضد المعروف (بالثريا) ثم يخرج فينقسم ثلاثة انهار فيدخل احدها الى بستان الزاهر فيسقيه ويمضي الثاني الى باب ببرز فيدخل البلد ويسمى نهر الملى ويمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة » وقال ياقوت : « نهر الملى وهو اليوم اشهر واعظم محلة ببغداد وفيها دار الخلافة المعظمة وهو نهر يدخل من باب « بين » (كذا ولعلها ببرز) وهو باق الى الان مستمداً من الخالص فيسير تحت الارض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس ... » وقد اراد بـ « هو » دار الخلافة والدار يجوز تذكيرها فظن مؤلف عمران ببغداد انه عنى « الملى » وقال الخطيب في ص ٧٠ : « ثم يمر النهر الثاني من المقسم الى باب ببرز فيدخل البلد من هناك ويسمى نهر ملى ويمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة » .

٦ - نهر الملى وباب ببرز والتاجية

لقد تكرر آنفاً ان نهر الملى يدخل بغداد المسورة الشرقية من باب ببرز ، فلذلك تجب معرفة هذا الباب ، قال ياقوت في مادة ببرز : « ببرز : بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء وزاي ، محلة ببغداد وهي اليوم مقبرة بين عمارات البلد وابنته من جهة محلة الظفرية والمقتدية بها قبور جماعة من الائمة منهم ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزابادي الفقيه الامام ومنهم من يسميها : باب أبرز » قلنا : في غرب مقبرة الوردية (اي مقبرة الشيخ عمر السهروردي اليوم)

قبر عليه قبة ساذجة البناء كتب على كتف بابها انه مرقد ابراهيم بن موسى الكاظم (ع) وفي صحن المشهد الكاظمي اليوم قبر ابراهيم بن موسى الكاظم واهل مكة ادري بشعابها من غيرهم ، وقد قال السيد محمود شمكري اللوسي في ص ١١٨ من كتاب مساجد بغداد :

« وفي صحن الكاظمية حجرة صغيرة فيها قبر ابراهيم وقبر اخيه جعفر ابني موسى الكاظم ، وقد عمرها سليم باشا الفريق وشاد القبعة التي عليهما وذكر ذلك عبد الباقي الفاروقي بايات نذكر منها شطر التاريخ وهو قوله : شاد سليم مرقد الفرقدين » فان كانت ابراهيم المدفون في قرب مقبرة الشيخ عمر هو الفيروز ابادي فمدفنه من مقبرة باب ابرز .

وجاء في ترجمة شهدة من تاريخ ابن خلكان : « وكانت وفاتها يوم الاحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة اربع وسبعين وخسمائة ودفنت بباب ابرز وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها رحما الله تعالى » ثم قال : « ومات والدها ابو نصر احمد في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ست وخسمائة رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته ببغداد ودفن بباب ابرز » ثم اخذ في تعريف ثقة النولة علي بن محمد الانباري قائلا : « قال السمعاني : كان يخدم ابا نصر احمد ابن الفرج الابري وزوجها بنته شهدة الكاتبة ثم علت درجته الى ان صار خصيصاً بالقتفي ، مولده سنة خمس وسبعين واربعمئة وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة تسع واربعين وخسمائة ودفن في دار برجة الجامع ثم نقل بعد موت زوجته شهدة فدفنا بباب ابرز قريباً من المدرسة الناجية (كذا بنسختنا والصواب : الناجية) في محرم سنة اربع وسبعين وخسمائة » .

وقال ابن خلكان في ترجمة محمد بن بختيار المعروف بالابله البغدادي : « وكانت وفاته على ما قاله ابن الجوزي في تاريخه في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وقال غيره سنة ثمانين وخسمائة ببغداد ودفن في باب ابرز محاذي الناجية (كذا) رحمه الله تعالى » .

وقال ياقوت : « الناجية منسوبة : اسم مدرسة ببغداد ملاصق بقبر الشيخ ابي اسحق الفيروز ابادي نسبت اليها محلة هناك ومقبرة والمدرسة منسوبة الى

تاج الملك ابي الفسائم المرزبان بن خسرو فيروز المتولي لتدير دولة ملكشاه
بعد الوزير نظام الملك .

وقال ياقوت في مادة « قراح » وقد ذكرناه سابقاً : « وذلك انك تخرج
من رحبة جامع القصر مشرقاً حتى تتجاوز عقد المصطنع وهو باب عظيم في
وسط المدينة فهناك طريقان ... والاخر يأخذ ذات الشمال مقدار رمية سهم الى
درب يقال له درب النهر عن يمين القاصد الى قراح ابن رزين ثم يمتد قليلاً
ويشرق فحينئذ يقع في قراح ابن رزين فاذا صار في وسطه فمن يمينه درب النهر
واللوزية وعن يساره محلة المقتدية (١) التي استحدثها المقتدي بالله ثم يمر في
هذه المحلة اعني قراح ابن رزين نحو شوط فرس جيد فحينئذ ينتهي الى عقد هناك
وباب فاذا خرج منه وجد طريقين احدهما يأخذ ذات الشمال يفضي الى المحلة
المعروفة بالمختارة فيتجاوزها الى مقبرة باب بيرز (كذا في الطبعة المصرية والصواب
بيرز) بطولها طالباً للشمال فاذا انتهت المحلة وقع في محلة تعرف بقراح ظفر « لا .
فيعلم من هذا ان مقبرة باب ابرز داخلية في عمارة بغداد طويلة ممتدة الى
شمالي بغداد . وقد وضع لسترنج على خارطة ص ٦٣ باب ابرز في غرب مقبرة
الشيخ عمر اليوم اي محلة خان اللاوند اليوم ووضع المدرسة التاجية قرب محلة
العزة اليوم اي بين محلة السور وخان اللاوند . ولكنه لم يذكر قراح ظفر فهو
اذن محلة العزة والسور اليوم . غير ان لسترنج ذكر في خارطته ص ١٠٧ باب
ابرز شرقي ثكنة الخيالة اليوم وجعل نهر المولى يمر من ذلك الموضع في شمال
بغداد حتى ادخله بغداد من شرقي باب المعظم اليوم ماداً اياله الى الجنوب حتى
يوصله الى الفردوس قصر الخلافة . وبعض ما حمله على ذلك قول المؤرخين ان
نهر المولى يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء فذهب رايه الى باب المعظم لانه
نهاية سوق الثلاثاء اي شارع الميدان اليوم ويظهر ان مجراه كان مما يقرب من
المستنصرية . ألا ترى عبد الحميد بن ابي الحديد يمدح المستنصرية قائلاً :

نخيمتها على نهر المولى فدجلة لا المنيفة فالضمار

(١) قلنا فكانت المقتدية على حسب التوجيه الذي ذكرناه في محلة المأمونية في غرب محلة
قنبر على الحالية.

وورد ان هذا البيت كما في ص ٩٣ من تاريخ مساجد بغداد لشارح نهج البلاغة عبد الحميد ، فعلق محمد بهجة بالمعلّى ما نصه : « محله اليوم بالرصافة يسمى سبع ابكار » ولكن اين الدليل والاستدلال ؟ قال شاعر يقول ان المستنصرية مخيمة على نهر المعلّى والمهذب يقول محله كذا فما ابعد ما بين المستنصرية وسبع ابكار ! وقال ياقوت عن محلة المأمونية : « بين نهر المعلّى وباب الازج » وعن المهزوم : « بين الرصافة ونهر المعلّى » .

٧ - الرصافة الاصلية

وضع العلامة لسترنج الرصافة الاصلية من شمال قبر ابي حنيفة (رض) الى كراثة المعظم الحالية ووضع في شرق قبره تربة الخلفاء العباسيين التي حسب محمود شكري الا لوسي انها قرب المستنصرية ، وجنوب القبر بقليل جامع الرصافة وجنوب هذا بقليل قصر المهدي بالرصافة وفي جنوبه تكون دجلة مائلة من الشرق الى الغرب وفي مبدأ ميلها « باب الطاق » ويلائم اليوم محل كراثة المعظم وتحت هذه ، بستان الزاهر وشرق الزاهر تبدأ محلة المهزوم بطرف البلاط الملكي اليوم من الزاهر اذ ذاك .

والمؤرخون اذا اطلقوا لفظ الرصافة كلن المراد هذه المواضع وما جاورها لا بغداد الشرقية اليوم ولذلك يقال تعارب اهل الرصافة واهل كذا من بغداد لانها صارت محلة مستقلة اخيراً .

٨ - باب الطاق

ذكرنا سابقاً ان محلة باب الطاق كانت بموضع كراثة المعظم اليوم والكراثة هذه متصلة بشمال حديقة البلاط الملكي ولان نورد ما ذكره بعض المؤرخين في وصفها وتحديدها : ففي ص ٢٥ من مناقب بغداد : « وقال ابو الوفاء ابن عقيل : سألتني صدر من صدور طريق خراسان عن بغداد وما ادركت بها ، فقلت : لا اذكر لك امراً تكاد تستبعد فاذا كر لك محلتى وهي واحدة من عشر محال ، كل محلة كبلد من بلاد الشام وهي المعروفة بباب الطاق ، اما شوارعها فشارع معالي دجلة من احد جانبيها قصور على دجلة طراز ممتد من عند الجسر (١) الى اوائل (١) قلنا : هو الجسر . الاوسط والخارج من باب خراسان من مدينة للنصور يمر

الزاهر وهو بستان للملك نحو مئتي جريب ، وجانبه الآخر (١) مساجد ارباب القصور ومساكن غلمانهم وفي خلال ذلك اصطبلاتهم ، ثم يليها من يمينه عند الجسر سوق يحيى ، الجامعة بين دور الوزراء والامراء مما يلي الشط كدار شادي ، والريب ، وابن الاوحد ، وقصر الوافي الذي كانت عليه دوابه كل يوم ألف محلاة ، ثم في آخر هذا السوق دار فرج مساكن النقا والرؤساء . ومن الجانب الغربي - اعني جانب سوق يحيى - الدكاكين العالية ، والدروب العائرة من دقاكين وخبازين وحلاوين ؛ ثم نهاية الدور الشاطئية ، دار معز الدواة ذات المسناة التي مرضها مائة آجرة وكل لها الروشن (٢) البديع فهذا طراز باب الطاق الشاطئي . فاما دواخلها فأوائلها المرصعة التي هي رجة الجسر وتنقسم رجة الجسر الى شارعين عظيمين : احدهما للاسماكفة ثم سوق الطير وهو سوق يجمع الرياحين وفي حواشيها الصيارف الظراف واصحاب الطيالس وفاخر الملابس ثم سوق المأكول للخبازين والقصابين وسوق الصاغة لم يشاهد احسن منه بناء شاهق واساطين ساج عليها غرف مشرفة ، ثم الوراقين سوق كبيرة وهي مجالس العلماء ، والشعراء ثم سوق الرصافة عظمة جامعة ثم شارع الترب « انتهى .

قلنا : وقد وصل في وصفه الى الرصافة فقطعنا عليه حديثه اللذيذ ووصفنا المنسجم البديع الذي تشترك الميوت الى رؤية موصوفه كل الاشتياق ، واراد بشارع الترب « شارع ترب الخلفاء العباسيين » .

ونقل في ص ٢٧ منه عن واصف باب الطاق المسار ذكره : « ولقد نزلت كثيراً في سميرية منحدرأفما أزال اسمع هذه الانغام من شرعة الجسر بباب الطاق الى باب المراتب » . وفي ص ٢٨ منه « وكلنت اسواق الكرخ وباب

بالاصطبلات الخلفية (نسبة الى الخليفة) ثم بدائرة الجسر ودائرة صاحب الشرطة على دجلة . فيعبر الجسر الى باب الطاق (كرادة المعظم) انظر خارطة ص ١٠٧ من لسترنج ونهاية الجسر الكرخية اذ ذلك تحت (دقاقة) الماء الى الكرخ اليوم .

(١) اي جانب ذلك الشارع المذكور .

(٢) الروشن يريد به جناح السطح وتسميه عامتنا اليوم « شناسيل » وليس المراد الكوة على ما ذكره مهذب مناقب بغداد وشناسيل تصحيف شاه لشين اي مجلس الملك وذلك بالفارسية . وفي نهج البلاغة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كأجنحة النور »

الطاق لا يختلط المطارون بأرباب الزهائم والروائح المنكرة ولا أرباب الانماط بأرباب الاسقاط .

قلت : وكانت دار ابي طاهر محمد بن بقية الوزير بباب الطاق . قال عنه ابن خلكان في « ٢ : ١٧٦ » من وفياته : « ولما حضرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة قبض عز الدولة عليه وسلم وحمله الى عضد الدولة مسجولاً فشهده عضد الدولة وعلى رأسه برنس ، ثم طرحه للفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطاق » . وقال ياقوت في « باب الطاق » ما نصه : « باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق اسماء وقد ذكرت في موضعها ، واجتاز عبدالله بن طاهر بها فرأى قمرية تنوح ، فامر بشرائها واطلاقها فامتنع صاحبها ان يبيعها بأقل من خمسمائة درهم فاشترها بذلك واطلقها وانشد يقول :
ناحت مطوقة بباب الطاق فجرت سوابق دمي المبراق ... »

قال مؤلف عمران بغداد في ص ١٠٢ « محلة باب الطاق : كانت محلة كبيرة بالجانب الشرقي وتعرف بطاق اسماء ايضاً » وهذا يصح قول علي (ع) حينما حث العراقيين على الجهاد فقام اليه رجل واخاه فقط : « واين تقعان مما أريد ؟ » .
٩٠ — مشهد عبدالله اي قبر النذور

ذكرنا سابقاً ان جامع الرصافة قريب من قبر ابي حنيفة جديداً ، من جهة الجنوب ، وكان موضعها مجاور لجامعة آل البيت اليوم ، وفي ص ٣٠ من مناقب بغداد ما نصه : « وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض اولاد علي (ع) يتبرك به » . يقال : انه قبر عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين « قلنا : ويسمى ايضاً « قبر النذور » ففي مادة « قبر » من معجم البلدان ما عبارته : « قبر النذور : مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور (كذا وفي المسافة خطأ تقديره وشك) يزار وينذر له ، قال التنوخي : كنت مع عضد الدولة وقد اراد الخروج الى همدان فوقع نظره على البناء الذي على قبر النذور فقال : يا قاضي ما هذا البناء ؟ قلت : اطل الله بقاء مولانا هـ ذا مشهد النذور ولم اقل : قبر ، لعلمي بتطيرة من دون هذا ، فاستحسن اللفظ وقال : قد علمت انه قبر النذور وانما اردت شرح امره ، فقلت له : هنا قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن

ابي طالب رضي الله عنهم وكن بعض الخلفاء اراد قتله خفية فجعل هناك زبيته وستر عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً ، وشهر بالنور لانه لا يكاد ينثر له شي . إلا ويصح ويبلغ النادر ما يريد وانا احسد من نثر له وصح مراراً لا احصيا ، فلم يقبل هذا القول وتكلم . بما دل على ان هذا وقع اتفاقاً فتسوق العوام باضعاف ذلك ويروون الاحاديث الباطلة ، فامسكت ، فلما كن بعد ايام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني وذكر انه جربه لامر عظيم ونثر له وصح نثره في قصة طويلة « ١١ » .

واذ علمت ان مشهد عبيد الله قرب جامع الرصافة فلا تركز الى ما نقل مؤلف عمران بغداد في ص ١٨٨ عن المرشد « ٣ : ٢٩١ » لعبد الحميد عبادتقونصه : « فلا يبعد ان يكون محل المشهد المذكور قرب ثكنة الخيالة خارج باب المعظم ، وكان هذا المشهد يشتمل على قبر عبيد الله بن محمد من احفاد الحسن (كذا) بن علي (ع) الذي يكنى بابي النور » لان بين الثكنة والرصافة القديمة : باب الطاق والزاهر البستان القصيع وقسماً من محلة المغرم . والعجب ان المؤلف المذكور نقل في ص ١٥٢ من كتابه عن المدرسة العصمية : « وكانت هذه المدرسة تجاور مشهد عبيد الله بن محمد العلوي المعروف بأبي النور الذي يقع بالقرب من جامع الرصافة في الجانب الشرقي ولا يبعد ان يكون محل المشهد المذكور قرب ثكنة الخيالة الحالية خارج باب المعظم » وكثير من كتابه مكرر بلا فائدة .

١٠ — القرية وقطعتا

قال في ص ١٠٥ من كتاب عمران بغداد : « واما القرية فهي بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء ، محلتان كبيرتان ... والاخرى كانت محلة كبيرة ايضاً بالجانب الغربي مقابل مشرعة مدرسة النظامية أي مقاهي المصيفة وما هو عن شرقها . » وقد نقل هذا التعيين عن محمد صالح السهروردي بالمرشد (٣ : ٣٤٨) . وهذا يحرق التاريخ عن مواضعه ففي معجم البلدان : « والقرية محلة كبيرة جداً كالدين من الجانب الغربي من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية » اذن ، ليست مقابل المدرسة النظامية بل مقابل مشرعة سوقها ، اما ان مشرعة النظامية هي مقاهي المصيفة اليوم فيصعب تصديقه لان اللازم تعيين موضع المدرسة

ثم معرفة سوقها ثم مشرعتها .

والقرية هذه يظهر لنا انها تمتد على دجلة من غربي بغداد من فوق الجسر العتيق اليوم الى ما فوق دار الندوة العراقية (المجلس النيابي) لانها كانت متصلة بمحلة قطفتا وهذه تشمل العمارات التي قرب مقبرة معروف الكرخي (رض) من الشرق والشمال فالفلحات والفحات وسوق حمادة والحصانة اليوم كانت من قطفتا . ففي ٣٩٦:٢ من نسخة لوفيات ابن خلكان ما صورته عن ابي المظفر عون الدين : « يحكون ان عون الدين قال : كان سبب ولايتي المخزن انني ضاق ما بيدي حتى فقدت القوت اياماً فأشار علي بعض اهلي ان امضي الى قبر معروف الكرخي (رض) فأسأل الله تعالى عنده فان الدعاء عنده مستجاب قال : فأنت قبر معروف فصليت عنده ودعوت ثم خرجت لأقصد البلد [يعني بغداد] فاجتزت بعطفاء (كنا) قلت : سوهي محلة من محال بغداد قال : فأريت محجداً مهجوراً الا قلنا : والصواب انها « قطفتا » لا عطفاء . ولم يزد ابن خلكان في ايضاحه على قوله : محلة من محال بغداد . وقال ياقوت : قطفتا بالفتح ثم الضم والقاء ساكنة وتاء مثناة من فوق والقصر : كلمة اعجمية لا اصل لها في العربية (١) في علمي وهي محلة كبيرة ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي (رض) بينها وبين دجلة اقل من ميل وهي مشرفة على نهر عيسى إلا ان العمارة بها متصلة الى دجلة بينهما القريتان محلة معروفة « الا . فمن هذا لا تستبعد ما ذكرناه لك ، واكثر الفتن المذهبية في آخر الدولة العباسية وقعت بين القطفتين والكرخيين اي اهل الكاظمية قديماً .

مصطفى جواد

(لغة العرب) كل ما يوشيه الاستاذ المحقق مصطفى أفندي جواد مطبوع بطابع التدقيق والعام الصادق ، وهو لا يخطو خطوة في اللغة ولا في التاريخ إلا من بعد ان يتثبت ان يضع قدمه من منبسط الحقيقة ؛ وكل من قرأ مقالاته في هذه المجلة يحكم له بالقدح الممل . ومن شك في تحقيقاته فليأتنا بيناته .

(١) قطفتا كلمة لرمية معناها : « ما يقتطف او قطفة » وسببت كذلك لما كان فيها من جنات النعيم والثمار الطيبة والفواكه الشهية (ل.ع)